

هل يعوق تعدد الثقافات وحدة الجنس البشري؟

الثقافة إما عدوانية وإما وسيلة اختلاف لتحقيق الوئام بين الشعوب



في رسالته عن الطبيعة البشرية لاحظ الأسكتلندي ديفيد هيوم أنه حين يسافر عبر أوروبا يعتبر الإنجليز أصدقاءه، وعندما يسافر إلى آسيا فأصدقاؤه هم الأوروبيون، ولو قدر له أن يسافر إلى القمر، فسوف يبحث عن سكان الأرض كي يتواصل معهم، أي أن الإنسان يميل بطبعه إلى من يشبهه في المقام الأول، فهل يعني ذلك أن تعدد الثقافات يقف حائلا أمام تواصل الجنس البشري؟



أبو بكر العيادي
كاتب تونسي

صارت غاية "لبلة" اللغات جعلت توافق الشعوب عصية.

ومن ثم صار من لا يفهم لغة الآخر، يحمل عنه أفكارا مسبقة، وكلما تباعدت المسافات الجغرافية صار الآخر بربريا، شأن تعامل الأوروبيين مع الشعوب البعيدة، فقد كانوا يأنفون من ثقافتهم لجهلهم إياها، ومن جهل شيئا عاداه، ومن جهل قوما ارتاب منهم ووصمهم بما ليس فيهم، فالقوميات الألمانية في القرن التاسع عشر كانت عدوانية تركت على نظرية التطور لدى داروين كي تبرر مقتها لغير البيض.

في كتاب "تدهور الحضارة الغربية"، يعتقد الفيلسوف الألماني أوسفالد شينغلر (1880 - 1936) أن الثقافة لا يمكن أن يكتب لها البقاء والدوام إلا بالتوسع، أي أن الثقافة لديه عدوانية في جوهرها. وهو ما نجده اليوم بعد اختلاط الثقافات بسبب الهجرات المتتالية، حيث يعود الحديث عن ثقافة البلد المضيف، وعن الليبرالية التي "شجعت على انتهاج سياسة استيعاب تناقض الاختلاف، وتؤدي إلى إفقار الجنس البشري" كما كتب الفيلسوف الكندي تشارلز تابلور.

فهل يعني ذلك أنه يجب تثبيت الاختلافات الثقافية وجعل الإنسانية مثل مشجب تعلق فيه كل جماعة رداها، أم ينبغي إيجاد تناغم وتناسق بين الثقافات؟

من المفكرين من يعتبر أن الاختلاف الثقافي ليس عدوانيا بالضرورة، على غرار ما أوضحه جان لوك في رسالته عن التسامح، وقد كان المطلق حروب الدين التي اشتعلت بين الكاثوليك والبروتستانت خلال القرن السابع عشر، وأضرمت النار في أوروبا كلها، حيث دفعت إلى التأمل في الغيرية، والتفكير في أدوات جديدة لنشر السلام، فكان "التسامح" الذي دعا إليه لوك وسواه من مفكري ذلك العصر مرضا على ضرورة فصل الكنيسة عن الدولة، وتعديل القانون الدولي على نحو يسمح لكل مجموعة بشرية بأن تجد مكانها داخل مصير مشترك.

المقصود بالثقافة هو جماع الثقائل التي تتميز مجموعة بشرية، أي أن الثقافة لها معنى مخصص ومتعدد قد يجعل علاقتها بوحدة الجنس البشري إشكالية. حتى عبارة "الجنس البشري" نفسها ملتبسة، لأنها قد تعني وحدة النوع وتوحى باصل مشترك له نفس الجينات، أو مصير مشترك يدفع البشرية إلى تحقيق ذاتها كوحدة عبر التاريخ.

هناك مفكرون يرفضون توخذ الثقافات بفعل الليبرالية والعولمة، معتبرين الاختلاف محركا بينما التوخذ موات

وأيا ما تكن التعريفات، فالغاية هي معرفة ما إذا كان تعدد الثقافات عاملا سلبيا في علاقة البشر بعضهم ببعض وتحقيق إنسانيتهم. وهل يمثل ذلك التعدد تهديدا للهوية الثقافية للشعب ما إلى درجة تدفعه إلى التنازل عن نفسه واختيار العزلة كي يحفظ خصوصيته، أم هي فرصة لتبادل وإثراء مع ما قد يجتري عن ذلك من ذوايا الخصائص المميزة لهذه الثقافة أو تلك، ووقوفها في التوخذ والتماثل؟

عدوانية الثقافة

إن أسطورة تقسيم اللغات كما وردت في الكتب المقدسة، وخاصة في سفر التكوين، تذكرنا بأن تعدد الثقافات كان في البدء عقبا لنسل نوح حين بنوا برجيا يجمعهم في مكان واحد فيلبل الله السنتهم، فتوقفوا عن العمل وانتشروا في الأرض، فنشأت عن ذلك التشتت أجناس ولغات مختلفة، وبذلك

الثقافة تمازج وتناظر (لوحة للفنان إبراهيم المسون)

ولكن هذا النقد الذاتي للغرب لا ينسبنا أن التاريخ يحمل معه كل الثقافات، ما يجعل المستقبل وليس الماضي هو الأجدر بالنظر في مثل هذه القضايا وتأمل أبعادها، فلئن كان من المشروع أن تسجل بعض الثقافات اسمها في الموروث الإنساني، فإن إدراجها في متحف يحيد بنا عن التطلع إلى المستقبل، لأن الأمة، كما قال إرنست رينان هي مشروع القيام بأشياء مشتركة موجهة إلى المستقبل.

وجملة القول إن الصراع ضد كل أشكال الاحتقار الثقافي، والعنصرية، والتعصب الديني، وإبادة الأقليات، ينبغي أن يمضي في تناسق وانسجام مع الصراع ضد ما يمكن أن يهدد البشرية، بصرف النظر عن الفوارق الثقافية، لأن وحدة الجنس البشري من هذه الزاوية مقدمة على الدفاع عن الثقافات.

على أمرها إلا عبر فضيلة الأسباد، وأنه ينبغي التفكير في تحرير العبيد إذا إذ يعتقد أن فمة خطة مخفية للطبيعة تجعل من الخلاف وسيلة للوئام بين الشعوب، فمن وجهة نظر براغماتية، ينبغي على البشرية، كي تبلغ "سلطة القانون"، أن تمر بتجربة النزاع بين الشعوب، فهي في نظره عامل تسابق وتنافس حتى يكون النوع أكثر إتقانا ومهارة.

هذا التحويل، الذي غير "العائق" إلى فرصة سانحة، نجده أيضا في فكر كانت إذ يعتقد أن فمة خطة مخفية للطبيعة تجعل من الخلاف وسيلة للوئام بين الشعوب، فمن وجهة نظر براغماتية، ينبغي على البشرية، كي تبلغ "سلطة القانون"، أن تمر بتجربة النزاع بين الشعوب، فهي في نظره عامل تسابق وتنافس حتى يكون النوع أكثر إتقانا ومهارة.

تعدد الثقافات

سبق أن دافع عن فكرة النزاع الفرنسي يوفون (1707 - 1788) في كتابه "التاريخ الطبيعي"، حين زعم أنه لا يمكن مساعدة الشعوب المغلوبة

«أمير الشعراء» يشهد منافسة قوية في أولى حلقات المرحلة الثانية

وقد كتب قصيدة من روائع الغزل، اعتقد الجميع أنها لحبيته، بينما هي ووصف لحاله مع مرضاه، فوصف عذابه منه وصفا راعيا، قال "جاءت معذبتي في غيبي الغسق/ كأنها الكوكب الذي في الأفق/ فقلت نورتي يا خير زائرة/ أما خشيت من الحراس في الطرق".

التقييم في المرحلة الثانية يكون من خلال مرورين لكل شاعر، الأول حر والثاني مجارة لأبيات تختارها اللجنة

وقد قام الشعراء الخمسة بكتابة خمسة أبيات مجارة للقصيدة المختارة على نفس القافية والوزن، وقدموها أمام أعضاء لجنة التحكيم، وبدورها قامت اللجنة بتقييم الأبيات ونقدها وفق معايير دقيقة.

وبعد فقرة المجارة أعلنت لجنة تحكيم البرنامج تاهل الشاعر عمر الراجي، بعد حصوله على 48 درجة، ليكون بذلك أول المتأهلين للمرحلة الثالثة من البرنامج.

أما الشعراء حنان فرفور ومحمد التركي ومحمد المامي وهبة شريفي، فسيكون أمامهم أسبوع من الانتظار، وواحد منهم فقط يمتلك فرصة الانضمام إلى زميله للاستمرار في المحطة القادمة عن طريق دعم المشاهدين وتصويتهم عبر التطبيق الخاص ببرنامج أمير الشعراء، حيث يستمر التصويت إلى غاية وقت إعلان النتائج في مطلع الحلقة القادمة.

كبير، وتجمع عالما غنيا بالإشارات والمقامات، مشيرين إلى أن التكرار قد أثر على القصيدة وكان ذلك واضحا من خلال كلمة "خذي".

رابع المتسابقين كان الشاعر محمد المامي، وشارك بقصيدة عنوانها "الموريسكي"، وفي مطلعها يقول "وجيدا.. بوحشة هذا المساء/ ارتل سفر الخروج الذي أثنىته المنافي/ يبيلني الضوء، حين أوثقت بالماء روح الغمام/ وكنت على أهبة الكلمات العذرى/ أضمد غرناطة في المجاز، على قلق/ حيث لا ربح تجري بأمري".

وأثنت لجنة التحكيم على أداء الشاعر وكتابته بشجاعة قصيدة تفعيلة جزلة وقوية، ولكن بعض التعابير في القصيدة كانت غامضة.

أما آخر نجوم الأسمية، فكانت الشاعرة هبة شريفي، التي قدمت قصيدة بعنوان "بكاء على أطلال الفرح" وجاء في مطلعها "باسمي ينادي ألف طير يصدح/ وأظير وردا في الهوا يتفتح..". ويحط فوق حبال صوتك مفعما/ بطور طفل حالم يتارجح".

وأشارت اللجنة إلى أن القصيدة فيها منظور درامي حقيقي، وتمثل صوتا أنثويا حزينا، في مجمله جميل، وأضافت أن توظيف بعض الكلمات في القصيدة وخصوصا العامية منها كان غير موفق.

في الجزء الثاني من التنافس كان شاعر الأسمية في فقرة المجارة العلامة الأندلسي محمد بن عبدالله السلماني، الذي اشتهر باسم لسان الدين بن الخطيب، الذي كان فيلسوفا ومؤرخا وفقيها وطبيبا وسياسيا وشاعرا من ابرع شعراء عصره.

هذا المزاج الرخب: وجه مدينة/ ظلّت بالوان الحنين مبللة". وأكدت اللجنة أن الشاعر قدم قصيدة قادرة على التصوير وبناء مجازاتها الخاصة بها، ولغتها الشعرية جميلة وموجبة، وتضمن رموزا خصبة، وفيها لون من الفكر الشعري العميق.

وكان محمد التركي ثالث نجوم الليلة الشعرية بقصيدته "منكشف على العتبات"، وفيها يقول "خذي.. لأرشف من ضبا الخلد/ أنسى من أنا/ وأصير لفظيا خارج الكلمات/ ينبض في هوى، ليبي".

وقالت اللجنة إن القصيدة فيها نغمة صوفية شيقة وجميلة إلى حد

حنان فرفور قصيدة بعنوان "رفيف خارج السور"، جاء في مطلعها "الأز... بالوجدان فخلدت في ديوان العرب. وبعد تبين طريقة المنافسة في المرحلة الثانية، انطلقت رحلة شعرية جديدة مع خمسة نجوم جدد من خمس دول، وهم الشاعرة حنان فرفور من لبنان، الشاعر عمر الراجي من المغرب، الشاعر محمد التركي من السعودية، الشاعر محمد المامي من موريتانيا، والشاعرة هبة شريفي من سوريا، الذين قدموا روائع شعرية أمام لجنة التحكيم وجمهور الشعراء من خلف شاشات التلفزيون ومواقع التواصل الاجتماعي. وقد تمت أول نجوم الأسمية الشاعرة

عمر الراجي من المغرب، وقدم قصيدة بعنوان "رؤى لحدائق القمر"، جاء في مطلعها "جسرا.. إلى جزر النبوة والولة/ الأرض تمنحننا هدوء الأخيلة/



عمر الراجي يواصل رحلة الرهان على اللقب